منشىء المجلة
انطون الجميل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثاني — اثريل (نيسان) ١٩١٣ — السنة الرابعة

أدرنه

هيَ عاصمةُ التركِ الأولى في أوروبا. آخر أثرٍ في البلقان لمجد بني عثمان. أخذها «فردينانُ» بالأمس كما أخذها «مرادُ الأول» من قبل. كلاهما بذل في سبيلها ثمناً غالياً من مالٍ ومن رجال

روضةٌ غنّاء في منبسطٍ ريّان الصدر، مخضرّ الأديم. تتراءى حولها سهول فسيحة يتسلل فيها نهر «أردَهْ»، وينساب في غياضها نهر «تُوندجه»، حتى اذا هما بلغاها لاقاهما أمامها نهر «ماريتزا» فعانقاهُ وتمشّى الثلاثة معاً الى خليج إينوس

هيَ بنتُ القِدَم، وأمُّ الحوادث الجسام. بناها «أدريان» امبراطور الرُّومان، بناءً مثلَ همّتهِ وطيداً، فكانت من بعدهِ معقِلَ الملوك، وأبعد غايات الجيوش، وأجلّ هموم الفاتحين

هيَ راوية التاريخ: مرّت بالأجيال الوسطى وشهدت مطامع أقوامها.

كم خميسٍ لَجَبٍ صادَمها ، وكم ملكٍ همامٍ زحف عليها . لا هيَ ناسيةٌ وقائعَ « قسطنطين » و « ليسينيوس » ، ولا مجازرَ « الغوط » وقومِ الامبراطور « ڤالانس » . ملكان تلاقيا أمامها وتناجزا على مرأًى منها طمعاً فيها . فلمَّا تغلَّبَ « قسطنطين » فتحت لهُ صدرَها ، ومدَّت اليهِ ذراعَيها . وشعبانِ تطاحنا عندها رغبةً في حيازتها ، فلما قهر « الغوط » « ڤالانس » نبذت هذا ، وأباحت حماهـا لقاهريه . هي تحبُّ الغالب ، وتزدري المغلوب !

ثم حاصَرَها البلغار ، ورموها بالحجارة والنار ، فدفعتهم بمنعتها وردَّتهم عنها خاسرين ؛ حتى اذا ضيَّقوا عليها الخناق ، وأرهقوها بالجوع ، تمكَّنوا منها ، فدخلوها مهلّلين مكبّرين . مَنِ استطاع أخذَها عنوةً فقد استطاع شبهَ المستحيل

هيَ سبيـلُ الغربِ الى الشرق : آوتِ الصليبيين في طريقهم الى بيت المقدس ، والطريق اليهِ يومئذٍ نار ودم ، وجمعت في ذراها امبراطور الروم ، وفردريك بَربَروس ، فتعاهدا تحت ظلّها وتحالفا ، وكانت لهما الشاهدَ العدل

ثم مشى بها الدهر أو ماشتهُ . لا صروفهُ هيّنة ، ولا عزائمها واهنة . كلما أنشبَ فيها ظفراً أنشبت فيهِ ناباً وظفراً . لاقت بهِ طاغية عتيّاً ، ولاقى بها صبوراً حمّالةً للخطوب . قوّتان متكافئتان

هي الحلقة الأولى من سلسلة الفتوحات العثمانية في اوروبّا . فتحها

مراد الأول واتخذها عاصمة للسلطنة . متى تغلَّب فاتحٌ عليها فقد تغلَّب على سائر البلقان . ربَّ حلَقةٍ اذا سقطت ، سقطت وراءها حلقات

حينئذٍ مدَّ النصرُ لها يدهُ فصافحتهُ يدِ بايزيد الأول ، ثم حالفتهُ بيد مراد الثاني ؛ فتمشَّت هيبتها في طليعة جيوشها ، فملَك قومها مقدونيا وبعضَ بلاد الروم ، واكتسحوا ألباتيا ، ودوَّخوا الفلَاخَ ، وفتحوا بلغراد . ثم مشى منها محمد على فروق حيث بنى عرشهُ على بقايا عرش قسطنطين ، ووطَّد الخلافة على انقاض الامبراطورية

أسعدَها بنو عثمان يوم كان نجمهم زاهراً ملء دائرته في سمائه ، والهلال خفَّاقاً بالنصر على رؤوس الترك ؛ فبنى فيها سليم الثاني جامعهُ الشهير رافعاً قبَّتهُ على أعمدةٍ من المرمر مباهياً بها قبة « آيا صوفيا » في فروق ، وشاد غيره جملةً من الجوامع حتى أربى عددها فيها على أربعين هي وقبورُ بعض السلاطين كلُّ ثروتها من الآثار

***

عزٌّ مضى ومجدٌ تولَّى . لا حالٌ الاَّ تحول ، ولا دولةٌ الاَّ تدول

عجباً لها ! بينا هي سبيلُ السلاطين الى الغرب ، اذا هيَ طريق القياصرة الى الشرق : مرَّ بها سليمان الثاني الى ڤينَّا ، ومرَّ بها اسكندر الثالث الى فروق !

كُرَةٌ لصوَالجة الفاتحين يتراماها ملوكٌ ، ويتلقَّفُها ملوك . ما دخلها القائد « بوسكيه » ابَّانَ حرب القرم حتى خرج منها عقيبَها . تؤخذ اليوم

بالسيف ، وتنتزع غداً بالسياسة . فتَحَهـا « جورجو » قائدُ الروس ، وانتزعتها منهُ معاهدةُ سان استفانوس !

جوّادةٌ بما لا تملك . لم تتحرّر قط ، ولكنها وهبت الشعوب الحرية ، ولم تنعم بالاستقلال حقبةً من الدهر ، ولكنها أنعمت بهِ على جاراتها . لو استطاعت لأخذت مثل ما وهبت !

سِجِلٌّ يَكتبُ فيهِ القلم كما يكتبُ فيهِ السيف . لهذا صفحة تنطوي على دمٍ وعلى نار ، ولذاك صفحة تنفتحُ على عهودٍ ومواثيق . ما كانت الأولى غير اسبابٍ ، وما كانت الأخرى سوى نتائج . كذلك وقّع فيها السلطان محمود معاهدةَ صلحهِ مع قيصر الروس ، تلك المعـاهدةَ التي وسّعت منطقة روسيا في آسيا ، وكتبتْ للسربِ ورومانيا فاتحة عهدهما بالاستقلال ، وكذلك دُوّنَ فيها اعتراف التركِ بتحرّر الرُّوم ، ذلك الاعترافُ الذي أعزّ هؤلاء ، وأطلقهم من ربقة الاستعباد

مَيدانٌ للحرب ، لا ميـدانٌ للعقل . ضرَبت فآلمتْ ، وقاتلتْ فقتلتْ ، ما أنـكر أحدٌ بأسَها ، ولا استخفّ ملكٌ حملها . ليتها كانت ربّةَ رأيٍ مثلما كانت ربّة حسام . للقوّةِ شأنٌ ، وللسياسةِ شأن . ما وفّقت بينهما ، ولا استفادت من جمعهما . فالبلادُ التي أغارت عليها عادت اليها مكتسحةً مُغيرة ، والقومُ الذين أراقت دماءهم ، قويَ ساعدهم عليها فأراقوا دمها . وانما الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك . مَن استفاد من نِعَم الأوّل هوّن عليهِ شرورَ الثاني

أدِرْنَه أخت بلاقنا . كلتاهما كانت عرينًا للأسود ، ومعقلاً لأبطال التاريخ . أختانِ شقيقتانِ حمى عرضَيهما أخوانِ شريفان . ما تسلَّم قيصرُ الرُّوس الأولى الاَّ مغموسةً بدماء الألوف من عساكره ، ولا بلغ قيصر البلغار الأخرى الاَّ مشيًا على جثثِ جنوده . ملكانِ ابتليا بملكَين . ذانكَ أعزَّهما تاجاهما ، وهذان شرَّفهما سيفاهما . ربَّ سيفٍ أعادهُ اسكندرُ الثالث الى عثمان إجلالاً واكباراً ، وربَّ سيفٍ ردَّهُ فرديناند الى شكري احتراماً واكراماً . غازيانِ لكلٍّ حقهُ من الشرف والجاه . لتعتزَّ أدرنه بفاتحيها . اسودٌ اقتنصتها من اسود !

* * *

أيها الفاتحون ادِرنه المغتصبون حماها . هل فتحتم مدينةً أعزَّ أم اُغتصبتم حميً أجلَّ . أما واللهِ لو لم تكونوا لها أهلاً ، ما ملكتم منها قِيدَ شبر ، ولا تطلعتم الى اسوارها الأعن كثب . لم يبعها الترك رخيصة القدر ، ولا اشتريتموها بخسة الثمن . فاذا وقفتم بقبور السلاطين فيها ، قفوا خاشعين لذويها . الكريم مَن يعرف قدر الكريم . اولئك ملوك كبار أجلَّهمُ من قبلكم ملوك كبار . مَن ذا يقول لهم عنَّا : سلامٌ عليكم سلاطين عظاماً ، وسلامٌ عليكم فاتحين أعزَّاء . هذا آخرُ عهدنا بكم . لتبقَ قبوركم مزارَ الأبطال وذكرى خالدةً لمجدكم الخالد . مباركةٌ هي تلك القبور ، ومباركةٌ حولها قبورُ حماتها البواسل

في ذمَّةِ البلغار ما في ادِرنه من رفات كريمة !! سلامٌ عليها وواهاً على عهدنا بها !! ؟